تَدَبُّرُ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ فِي أَحَادِيثِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

إِعْدادُ:

د. منى بنت أحمد القاسم

أستاذ الحديث المشارك بجامعة الأميرة نورة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بسنته إلى يوم الدين وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعد :

فإن العلم بسننِ الله تعالى في الأمم والأفراد من أهم العلوم وأنفعها التي تستحقّ أن تفرد بالدِّراسة والبحث، فأصوله وقواعده مبثوثة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية وعمل الصَّحابة الذين فقهوا التَّنزيل وأدركوا مراميه ومقاصده وعلموا هذه السنن وتعاملوا معها وفق نظامها وتسخير الله لها.

أهميّة هذا الموضوع

إن أهمية دراسة هذه السُّنن تنبعث من منطلق الدِّيانة لله تعالى الذي أمرنا بالاعتبار و التفكّر والتدبّر في آياته وأفعاله، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [سورة : آل عمران].

وأثر ذلك التدبر و التذكّر في العلم بالله تعالى وتعظيمه والخضوع له ، والحذر من مخالفته والوقوع فيما نهى عنه ، والعبرة بما قصّه الله في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ من أحوال السابقين صالحهم وفاجرهم.

عن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَارِسَ، وَالرُّومِ، فَقَالَ: وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ»[١].

---

(١) رواه البخاري (٧٣١٩).

قال السَّيد رشيد رضا رحمه الله:"وَأَمَّا العِلمُ بِسُنَّتِهِ تَعَالَى فِي خَلقِهِ فَهُوَ وَسِيلَةٌ وَمَقصِدٌ، أَعْنِي أَنَّهُ أَعظَمُ الوَسَائِلِ لِكَمَالِ العِلمِ باللهِ وصفاتِهِ وأفعَالهِ ، وَمِن أَقرَبِ الطُّرُقِ إِلَيهِ وَأَقوَى الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيهِ، وَأَنَّهُ أَعظَمُ العُلُومِ الَّتِي يَرتَقِي بِهَا البَشَرُ فِي الحيَاةِ الاجتِمَاعِيَّةِ المدَنِيَّةِ فَيَكُونُونَ بِهَا أَعِزَّاءَ أَقوِيَاءَ سُعَدَاءَ، وَإِنَّمَا يُرجَى بُلُوغُ كَمَالِ الاستِفَادَةِ مِنهُ إِذَا نُظِرَ فِيهِ إِلَى الوَجهِ الرَّبَّانِيِّ وَالوَجهِ الإِنسَانِيِّ جَمِيعًا"(١).

الدِّراسات السَّابقة:

بالنظر إلى السَّاحة العلمية والمكتبة الإسلامية نجد أن "السُّنن الإلهية" لم تحظ بالدِّراسة المفردة والبحث المتخصِّص اللهم إلا دراسات متفرقة ضمن الكتب كفصلٍ في مقدمة ابن خلدون، أو إشاراتٍ في ثنايا كتب التفسير كالتحرير والتنوير لابن عاشور، ويضاف لها بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عنها بإجمال ككتاب "علم السنن الإلهية" لمحمد أبو علاق و"مقال في السنن الإلهية" لمحمد عمارة، و"مفهوم السنن الربانية" لرمضان زكي ، أو تلك التي تحدثت عنها لكن اقتصرت على طرفٍ مما ورد في القرآن الكريم كـ"السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية" للدكتور عبدالكريم زيدان، و"السنن الإلهية في الأمم والأفراد" لمجدي عاشور و"السنن الإلهية في الحياة الإنسانية" لشريف الخطيب ولم أقف إلا على كتاب واحد في السنة النبوية تحديدًا في السِّيرة النبوية ! هو السنن الإلهية في السيرة النبوية

---

(١) تفسير المنار (٧ / ٤١٧).

للدكتور أبي اليسر رشيد كهوس، مما يدل على الافتقار الشديد في مجال السُّنة، ولعلّ هذا البحث أن يكون بادرة عطاء وبذرة نماء في هذا العلم المهم الجدير بالعناية والتأليف.

خطَّة البحث ومنهجه:

اشتمل البحث على:

مقدّمة ذكرتُ فيها أهمية الموضوعِ والدِّراسات السابقة عليه بالإضافة إلى خطة البحث ومنهجه.

وتمهيد في معنى السُّنن الإلهية في اللغة والسُّنة النبوية، ثم مبحثين:

الأوَّل: أقسام السُّنن الإلهيّة.

والثاني: السُّنن الإلهية للأمم والأفراد في صحيح البخاري وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سنن الله تعالى في الأنبياء.

المطلب الثاني: سننُ الله في الأوَّلين والآخرين.

ثم الخاتمة: وبها أهمّ النتائج والتوصيات.

ثم الفهارس.

وكان منهج البحث قائمًا على جمع طائفة من الأحاديث التي بيّنت سنن الله تعالى في الأنبياء والأمم من صحيح البخاري رحمه الله وتجلية معانيها المتصّلة بهذا الموضوع بإيجاز مع العزو للنّصوص وتخريج الآيات والأحاديث.

والله أسأل أن يمنّ علينا بالعلم بدينه و سننه والعمل بها و الاعتبار بما فيها.

وصلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليمًا كثيرًا.

التَّمهيد:

معنى السُّنن الإلهية في اللغة والسُّنة النَّبويَّة

أولاً: معناها في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: السِّين والنُّون أصلٌ واحدٌ مطَّرد، وهو جريَان الشيء واطّراده في سهولة، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّهُ سَنَّاً، إذا أرسلتَه إرسالاً. ثمَّ اشتُقَّ منه رجل مسنون الوجه، كأنَّ اللحم قد سُنَّ على وجهه. والحَمَأُ المسنون من ذلك، كأنه قد صُبَّ صَبّاً.

ومما اشتقَّ منه السُّنَّة، وهي السِّيرة. وسُنَّة رسول الله عليه السلام: سِيرته. قال أبو ذؤيب الهُذَلي:

فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ أنت سِرْتَها فأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً من يسيرُها[(١)]

وإنّما سمِّيَت بذلك لأنها تجري جرياً، ومن ذلك قولهم: امضِ على سَنَنِك وسُنَنِك، أي وجهك، وجاءت الرِّيح سَنائِنَ، إذا جاءتْ على طريقةٍ واحدة[(٢)].

فالخلاصة؛ أن المعنى في أصل اللغة هو: الجريان والاطّراد في سهولة وفي فَلَكِ هذا المعنى عبَّر سائرُ أهلِ اللغة؛ فقال الصاحب بن عبّاد: "العادة"[(٣)] وقال أبو بكر الأنباري: "الطريقة"[(٤)] وزاد ابن السِّكيت:" سنّ الرجل إبله: إذا

(١) ديوان الهذليين (١/ ١٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة (ص٤٥٣)، لسان العرب (١٣/٢٢٠).

(٣) المحيط في اللغة (٢/٢٤٤).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٨٤).

أحسن رِعْيَتها والقيامَ عليها حتى كأَنه صَقَلها"[١].

مما يجلّي الغاية من اطّراد السُّنن؛ وأنها مقصودةٌ للخير والبرّ.

ثانيًا: معناها في السُّنة النبوية:

قال ابن الأثير رحمه الله: "الأصلُ فيها الطَّريقة والسِّيرة" والسَّنُّ: الصَّبُّ في سُهُولة، والسُّنَّة: "الصُّورةُ وما أقْبل عليك من الوجه"[٢].

قال المهلَّب: في قوله صلى الله عليه وسلم: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ»[٣] بفتح السين هو أولى من ضمها؛ لأنه لا يستعمل الشبر والذراع إلا في السَّنن وهو الطريق[٤].

وقال العيني رحمه الله:" السَّنن بفتح السين ؛ السَّبيل والمنهاج"[٥].

قال ابن رجب رحمه الله:" السُّنة يراد بها الطريقة الملازمة الدائمة، كقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[سورة: الفتح]"[٦].

الفتح]"[٦].

وأما السُّنن عند شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم؛ فهي أكثر

(١) إصلاح المنطق (ص٥٤).

(٢) النهاية في غريب الأثر (٢/ ١٠٢٢).

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٤٥٦) و مسلم (٢٦٧١).

(٤) شرح ابن بطال (٣٦٦/١٠) ، هو قول المنذري ، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٥٦٣) والسيوطي ، الديباج على مسلم (٦/ ٣٤) وغيرهم .

(٥) عمدة القاري (٢٣/ ٤٥٥).

(٦) فتح الباري (٦/ ٧٦).

تحديدًا فقد بيّنها شيخ الإسلام رحمه الله فقال:" السُّنَّةُ هي العَادَةُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ أَن يفعلَ في الثَّانِي مِثلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الأوَّل؛ ولِهَذا أَمَرَ سُبحَانَهُ وتَعالى بِالِاعتبارِ وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾[سورة: يوسف، من الآية :١١١] والاعتِبَارُ أَن يُقرنَ الشَّيءُ بمِثلِه فَيُعلَمَ أَنَّ حكمه مثلُ حُكمهِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ —في دية الأصابع: هلَّا اعتبرتُم الأصابع بالأسنانِ ؟
عقلها سواء وإن اختلفت منافعها[١].

فإِذَا قال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴾ [سورة : الحشر] أفادَ أَنَّ من عَمِلَ مثل أَعمَالِهم جُوزِيَ مثل جزائهم"[٢].

وقال ابن القيّم رحمه الله: "فسنَّته سبحانه؛ عادته المعلومة في أوليائه وأعدائه"[٣].

وقال أيضًا رحمه الله: "الله له الخلق والأمر ولا تبديل لخلق الله ولا تغيير لحكمه فكما لا يخالفُ سبحانه بالأسباب القدرية أحكامَها بل يجريها على أسبابها وما خلقت له، فهكذا الأسباب الشرعية لا يخرجها عن سببها وما شُرعت له؛ بل هذه سنتهُ شرعاً وأمراً، وتلك سنتهُ قضاءً وقدراً[٤]."

ومن خلال ما مضى نجد أن أخصَّ معالم السنن:" اللزوم والتحقّق و الثبات وعدم التغيّر، والاطّراد والجريان والتّكرر بين النظراء" ومن أخصّ آثارها:" حسن

(١) رسائل ابن حزم – (٣ / ٢٠-٢١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠).
(٣) شفاء العليل (ص: ١٩٩).
(٤) إعلام الموقعين (٣ / ٣٣٦).

الرِّعاية والصَّقل والاعتبار".

وأن السُّنن إذا أطلقت فالمراد بها العادة المطَّردة "السنن الإلهية في الكون"، وإذا قُيِّدت فهي الَّتي تَتَضَمَّنُ أَن يفعلَ في الثَّانِي مِثلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الأوَّلِ "السنن الإلهية في الأمم" وسيأتي لها أمثلة.

وأن السُّنَنَ؛ قدريةٌ مرتبطة بالخلق، وشرعيةٌ مرتبطة بالأمر، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[سورة : الأعراف].

المبحث الأول: أقسام السُّنن الإلهيّة:

بالنَّظر إلى ما سنَّه الله تعالى في الكون والأمم والأفراد والحياة من القوانين والنواميس في كتابه الكريم وسنَّة نبيه عليه أفضل الصَّلاة وأتمّ التسليم؛ نجد أن السُّنن الإلهيّة تنقسم إلى قسمين؛ سننٌ جارية، وسننٌ خارقة.

أولًا : السُّنن الخارقة:

هي أمره سبحانه النافذُ في خلقه وفق إرادته المطلقة متى شاء كيف شاء لا معقّب لأمره و لا رادَّ لقضائه، قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة البقرة].

فهي نافذةٌ فيما سواها من السُّنن بإرادة الله وحكمته، ليبين عموم قدرته وسطوته وقهره، فإن الذي أوجد هذه السُّنن الكونية على صفةٍ حتميةٍ دقيقة صارمة ؛ قادرٌ على خرقها وتغييرها في طرفة العين! ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة القمر]، لتعلم الخلائق أن كلّ شيءٍ طوعُ أمره منقادٌ لمشيئته فيخضعوا له سبحانه ويؤمنوا، ويصمدوا إليه وحده ويخلصوا التعلّق به، فلا

يستولي عليهم الانبهار بالظواهر الطبيعية والركون إلى النظم المادية البحتة المنضبطة بأصغر أجزاء القياس وأدقّ أنواع الحساب !

وهذه السنن الخارقة المنقادة لأمره أصلٌ من أصول السُّنن والنَّواميس الإلهيَّة وليست استثناءً أو فرعًا لغيرها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقًا على الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾:"وَهَذَا الأَمر الكوني لا يخرج عنهُ أحد"[1] و"الكون كله داخلٌ تحت هذه الكلمات وسائر الخوارق الكشفية التأثيرية"[2].

ومن هذه السُّنن الخارقة ما جرى من التَّكريم العظيم لهاجر عليها السلام؛ الذي تجلّت فيه قدرة الله المطلقة وعظمته المدهشة بعدما أذعنت لله تعالى وحده ورضيت بقدره وتعلَّقت به دون سواه، وآمنت يقينًا أنه مُغيثها وحافظها وكالؤها في تلك الأرض القفر اليباب الموحشة فأكرمها بما لم يخطر لها على بال وسخّر لها الملَك مكلِّمًا ومكرِّمًا حتى اندهشت وفرحت بنعمة ربها، كما روى ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا كَانَ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ أَهْلِهِ مَا كَانَ خَرَجَ بِإِسمَاعِيلَ وَأُمِّ إِسمَاعِيلَ وَمَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَت أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَوَضَعَهَا تَحتَ دَوحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِبرَاهِيمُ إِلَى أَهلِهِ فَاتَّبَعَتهُ أُمُّ إِسمَاعِيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءً نَادَتهُ مِن وَرَائِهِ يَا إِبرَاهِيمُ إِلَى مَن تَتْرُكُنَا، قَالَ: إِلَى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللَّهِ،

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (٩/١).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٨).

[وفي رواية أخرى عند البخاري، فَقَالَت: يَا إِبرَاهِيمُ أَينَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ، فَقَالَت لَهُ: ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا، قَالَ: نَعَم، قَالَتْ: إِذًا لَا يُضَيِّعُنَا]قَالَ: فَرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تَشرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ، قَالَتْ: لَو ذَهَبتُ فَنَظَرتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا، قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَل تُحِسُّ أَحَدًا فَلَم تُحِسَّ أَحَدًا فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِيَ سَعَتْ وَأَتَت المَرْوَةَ فَفَعَلَتْ ذَلِكَ أَشوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَو ذَهَبتُ فَنَظَرتُ مَا فَعَلَ تَعنِي الصَّبِيَّ فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإِذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ كَأَنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوتِ فَلَم تُقِرَّهَا نَفْسُهَا، فَقَالَتْ: لَو ذَهَبْتُ فَنَظَرتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفَا فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ فَلَم تُحِسَّ أَحَدًا حَتَّى أَتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرتُ مَا فَعَلَ فَإِذَا هِيَ بِصَوتٍ، فَقَالَت: أَغِثْ إِن كَانَ عِندَكَ خَيْرٌ فَإِذَا جِبرِيلُ، قَالَ: فَقَالَ: بِعَقِبِهِ هَكَذَا وَغَمَزَ عَقِبَهُ عَلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَانْبَثَقَ المَاءُ فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَعَلَتْ تَحفِزُ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ رحمه الله: لَو تَرَكَتْهُ كَانَ المَاءُ ظَاهِرًا، قَالَ: فَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ المَاءِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا...»(١) الحديث.

قال ابن الجوزي رحمه الله:"كان ظهورُ زمزم نعمةً من الله محضةً بغير عمل عامل فلما خالطها تحويط هاجر داخلها كسبُ البشر فقصرت على ذلك"(٢).

(١) صحيح البخاري (٣٣٦٥).

(٢) فتح الباري (٦ / ٤٠٢) ولم أقف عليه في كتب ابن الجوزي رحمه الله.

وقال العيني رحمه الله:" وفيه أن الملَك يتكلَّم مع غيرِ الأنبياء عليهم السلام"(١).

وقد تحصل هذه السنن الخارقة للتخويف من عذاب الله والتذكير بعقوبته والهرع إليه بالتوبة والإنابة كما روى عُبَيْدُ بْنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي مَن أُصَدِّقُ حَسِبْتُهُ يُرِيدُ عَائِشَةَ، أَنَّ الشَّمْسَ انكَسَفَت عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ قِيَامًا شَدِيدًا يَقُومُ قَائِمًا، ثُمَّ يَركَعُ، ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَركَعُ، ثُمَّ يَقُومُ، ثُمَّ يَركَعُ رَكعَتَيْنِ فِي ثَلَاثِ رَكَعَاتٍ وَأَربَعِ سَجَدَاتٍ، فَانصَرَفَ وَقَد تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللَّهُ أَكبَرُ»، ثُمَّ يَركَعُ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ، قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فَقَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَا يَكسِفَانِ لِمَوتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا مِن آيَاتِ اللَّهِ، يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيتُمْ كُسُوفًا فَاذكُرُوا اللَّهَ حَتَّى يَنْجَلِيَا»(٢).

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: وفي قوله عليه السلام: «يخوّفُ الله بهما عباده» إشارة إلى أنه ينبغي الخوف عند وقوع التغيّرات العُلوية، وقد ذكر أصحاب الحساب لكسوف الشَّمس والقمرِ أسبابًا عادية وربما يعتقد معتقد أن ذلك ينافي قوله عليه السلام: "يخوّفُ الله بهما عباده "وهذا الاعتقاد فاسد؛ لأن لله تعالى أفعالاً على حسب الأسباب العادية وأفعالاً خارجة عن تلك الأسباب فإن قدرته تعالى حاكمة على كل سبب ومسبب فيقطع ما شاء من

(١) عمدة القاري (٢٣ / ٢٣٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري(١٠٤٤)، ومسلم(٩٠٤) واللفظ له لزيادة "يخوف الله بهما عباده".

الأسباب والمسببات بعضها عن بعض، فإذا كان ذلك كذلك فأصحاب المراقبة لله تعالى ولأفعاله الذين عقدوا أبصار قلوبهم بوحدانيته وعموم قدرته على خرق العادة واقتطاع المسببات عن أسبابها؛ إذا وقع شيءٌ غريبٌ حدث عندهم الخوف، لقوَّة اعتقادهم في فعل الله تعالى ما شاء ، وذلك لا يمنع أن يكون ثمة أسبابٌ تجري عليها العادة إلى أن يشاء الله تعالى خرقها ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم عند اشتداد هبوب الريح: "يتغير ويدخل ويخرج"[(١)]. خشية أن تكون كريح عادٍ وإن كان هبوب الريح موجودًا في العادة"[(٢)].

وهذا الأثر العظيم الذي يُحدثه الإيمان بالله تعالى وسننه في خلقه ثمرته اللجأُ إليه والضَّراعة بين يديه لعلم المؤمن أنها نُذُرٌ من الله تعالى توجب الانتباه من الغفلة والإفاقة من السّكرة والأوبة و الإنابة لربّ العالمين.

ثانيًا: السُّنن الجارية؛ وهي نوعان:

ما يتعلّق بالخلقِ والتّكوين والطّباع والظَّواهر الطبيعية التي أبدعها البارئُ سبحانه على طريقةٍ معلومةٍ وعادةٍ مطَّردة وحتميةٍ صارمة، مقدّرة بأمر الله لاحول للمخلوق فيها ولا طول، ولا قدرة ولا إرادة، كخلق البشر ذكورًا ونساءً على هيئة معينةٍ وخلق الشمس والقمر والأكوان وغيرها وتُسمّى السُّنن الكونية.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٦) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم " إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: " مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾" [سورة الأحقاف، من الآية: ٢٤].

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (ص: ٢٣٥) ويراجع: الفتح (٢/ ٥٣٧).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) ﴾[سورة: البقرة].

وفي الصحيح عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَرِفَ وَأَنَا أَبكِي، فَقَالَ: «مَا لَكِ أَنَفِستِ، قُلْتُ: نَعَم، قَالَ: هَذَا أَمرٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ» الحديث[1].

قال ابن بطال رحمه الله:" هذا الحديث يدل على أن الحيضَ مكتوبٌ على بنات آدم فمن بعدهن من البنات كما قال صلى الله عليه وسلم، وهو من أصلِ خلقتهن الذى فيه صلاحهن، قال الله في زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾[الأنبياء: ٩٠].

قال أهل التأويل: يعنى ردَّ الله إليها حيضها لتحمل، وهو من حكمة الباري الذى جعله سببًا للنَّسل، ألا ترى أن المرأة إذا ارتفع حيضها لم تحمل، هذه عادةٌ لا تنخرم[2]."

فهذه السُّننُ جاريةٌ على ناموسٍ إلهيٍّ جليل وقانون رباني دقيق؛ مبهرٌ بإعجاز دقَّته وجريانه وانتظامه بهيئات وصفاتٍ لازمة لما خُلقت له وما يُسّرت إليه، كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾[الجاثية].

---

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٥٥٩) ومسلم (١٢١١).

(٢) شرح ابن بطال (١ / ٤١١).

لأنها علاماتٌ ودلالاتٌ على أنه لا إله لكم غيره؛ أنعم عليكم هذه النعم، وسخَّر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره من أعظم الآيات والحجج والبراهين لمن يعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكَّروا فيها(١).

والحاصلُ مما سبق؛ أن السُّنن لا تجري جريانًا حتميًا مسلوب الإرادة، بل كلٌ بقضاء الله وقدره، يستوي في ذلك السنن الجارية والسنن الخارقة، وإذا أراد الله شيئًا فإنه يسخّر له أسبابه المقتضية حصوله ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۢ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ ﴾ [سورة القمر] فيُنفذه بأمره الماضِي ومشيئته الغالبة؛ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ ﴾[سورة يوسف].

ولولا انتظام هذه السُّنن بتلك الدقة المعجزة لما انسجم الكون مع ما فيه من الخلائق، ولما قامت هذه العلوم والحضارات والطب والعلاقات وغيرها من العلوم التطبيقية و التجريبية اللازمة للحياة.

القوانين والقواعد الإلهية التي تحكمُ تصرّفات البشر وتبيّنُ معاملة الله سبحانه للأمم بناءً على سلوكهم وأعمالهم بحيث يُفعل باللاحق ما فُعل بنظيره السابق ، ليعتبروا بهم فيتوبوا إلى الله تعالى ويصلحوا شأنهم.

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾[سورة النساء]وهذا النوع الذي يظهر فيه الاختيارُ الانساني وحرّيته، والتّصرفات البشرية خيرها وشرها وجزاؤها وعواقب أمرها؛ وهو مرادٌ

(١) ينظر تفسير الطبري (٢٢/٦٦).

للاعتبار والادّكار قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [من الآية: ١١١،سورة يوسف]. وسيكون هذا؛ محور الدراسة والبحث بعون الله وتوفيقه.

المبحث الثاني: السُّنن الإلهية للأنبياء و الأمم في صحيح البخاري

بعد تتبّع السُّنن التي تحكم البشرية في صحيح البخاري رحمه الله واستقراء الأحاديث التي تقتضي التسوية بين المتماثلين وإلحاق النظير بنظيره واعتبار الحال بأختها بالأساليب البيانية التي يفهم منها هذا المعنى؛ وقفتُ على طائفةٍ حسنة، سأعرضها تحت موضوعاتها وهي مقسّمة إلى عددٍ من الأنواع؛ اقتصرتُ منها على نوعين:

المطلب الأول: سننُ اللّه تعالى في الأنبياء.

بعثُ الرُّسل في أشراف قومها:

في حديث أبي سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ: «أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُم وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ...وفيه «فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُم ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا...»[1].

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري (٧) ومسلم (٣٣٢٨).

قال ابن بطال رحمه الله:" فيه أن الرُّسل لا تُرسل إلا من أكرم الأنساب، لأن من شَرُفَ نسبه كان أبعد له من الانتحال لغير الحقائق"(١).

وقال العيني رحمه الله:" إن قيل كيف قال هرقل؛ وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ومن أين علم ذلك ؟ أجيب باطلاعه في العلوم المقرَّرة عندهم من الكتُب السالفة"(٢). فكانت هذه السُّنّة أمارةً وبرهانًا على صدق النبوّة التي أخبر عنها وشهد بها وهما كافران.!

الضُّعفاءُ أتباع الرُّسل:

وفي الحديث السَّابق: «وَسَأَلْتُكَ، أَشرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَم ضُعَفَاؤُهُم ؟ فَذَكَرتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ وَهُم أَتبَاعُ الرُّسُلِ».

قال المهلّب رحمه الله:"فإنَّ أشراف الناس هم الذين يأنفون من الخصال التي شرف صاحبهم عليهم بها، ويُحَطُّ شرفهم إلى أن يكونوا تابعين في أحوال الدنيا، فلذلك قال: إن كان يعاديه أشراف الناس فهي دلالة على نبوَّته، وأما ضعفاؤهم الذين لا تتكبر نفوسهم عن اتباع الحق حيث رأوه ولا يجد الشيطان السَّبيل إلى نفخ الكبرياء في نفوسهم، فهم متَّبعون للحق حيث سمعوه لا يمنعهم من ذلك طلب رئاسة ولا أنفة شرف، وزيادتهم دليلٌ على صحة النبوة، لأنهم يرون الحق كل يوم يتجدَّد ويتبين لهم، فيدخل فيه كل يوم طائفة(٣)."

---

(١) شرح ابن بطال (١ / ٤٥).

(٢) عمدة القاري (١ / ٢٥٧).

(٣) شرح ابن بطال (١ / ٤٥).

وهذه السُّنة الجارية؛ قصّ الله خبرها في كتابه الكريم منذ عهد نوح عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [سورة هود، من الآية :٢٧] إلى عهد نبينا محمد ﷺ الذي أوصاه ربه جلّ شأنه بالمؤمنين كافةً غنيهم وفقيرهم؛ فلا ضعف فقيرهم ولا حاجة مسكينهم تقصيهم من مجلسه كما رغب أشراف قومه، بل هؤلاء أسعد الناس ببرّه ورحمته، قال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف].

ما من نبيٍّ إلا رعى الغَنَم.

عن جَابِرَ بنَ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَجْنِي الكَبَاثَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عليكُم بالأَسْوَدِ مِنهُ فإِنَّهُ أَطْيَبُهُ، قَالُوا: أَكُنْتَ تَرعَى الغَنَمَ، قَالَ: وَهَل من نَبِيٍّ إِلَّا وقد رعاها»[١].

من حكمة الله تعالى؛ أنه لم يضع النبوَّة في أبناء الدُّنيا وملوكها، لكن في رعاءِ الشَّاءِ (التي لا تركب فتزهو نفس صاحبها)، كي يأخذوا لأنفسهم بالتَّواضع وتصفو قلوبهم بالخلوة، وينتقلوا من سياستها إلى سياسة أممهم[٢].

(١) رواه البخاري (٣٤٠٦).

(٢) شرح السنة (١١ / ٣٣٤)، فتح الباري (٩ / ٥٧٦).

تأييدُ الأنبياء بالآيات:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

قال النَّووي رحمه الله:" فيه أَنَّ كُلَّ نَبِيّ أُعطِيَ مِن المعجِزَات مَا كَانَ مِثله لِمَن كَانَ قَبله مِن الأَنبِيَاء فَآمَنَ بِهِ البَشَر، وَأَمَّا مُعجِزَتِي العَظِيمَة الظَّاهِرَة فَهِيَ القُرآن الَّذِي لَم يُعطَ أَحَد مِثله، فَلِهَذَا قَالَ: أَنَا أَكثَرهم تَابِعًا"(٢).

وفي القرآن الكريم خبر تلك المعجزات الباهرات لأنبياء الله ورسله عليهم أزكى الصلوات.

تحذيرُ الأنبياء أقوامَهم من فتنةِ المسيح الدَّجال:

قال ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأُنذِرُكُمُوهُ وَمَا مِن نَبِيٍّ إِلَّا أَنذَرَهُ قَومَهُ لَقَد أَنذَرَ نُوحٌ قَومَهُ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُم فِيهِ، قَولًا: لم يَقُلهُ نَبِيٌّ لِقَومِهِ تَعلَمُونَ أَنَّهُ أَعوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيسَ بِأَعوَر»(٣).

في الحديث ما تواتر عليه الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه من تحذير أقوامهم من فتنة المسيح الدَّجَّال لخطورة شأنه وعظم فتنته.

---

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (٤٩٨١) و مسلم (١٥٥).

(٢) المنهاج (٢ / ١٨٨).

(٣) رواه البخاري (٣٣٣٧).

فأوّل من حذّر قومه منه هو نوح عليه الصلاة والسلام؛ لأنه أوّل نبيٍّ أنذر قومه وذريّته هم الباقون، وزاد النبي ﷺ عليهم وصفًا لم يبيّنه إخوانه الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، مبالغةً في التحذير؛ لأنه مُدركٌ آخر أمته، فجلّى أحواله الملموسة وأوضح خصاله المحسوسة، كيلا يلتبس على أحد . (١)

معاداةُ النَّاس لدعوةِ الأنبياء :

عَن عَائِشَةَ أُمِّ المؤمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّهَا، قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الوَحيِ الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّومِ» وفيه «أن وَرَقَةَ بنَ نَوفَلٍ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لَيتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخرِجُكَ قَومُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَوَمُخرِجِيَّ هُم ؟، قَالَ: نَعَم، لَم يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثلِ مَا جِئتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِن يُدرِكنِي يَومُكَ أَنصُركَ نَصرًا مُؤَزَّرًا»(٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله :"يعني أن الحقَّ لا يخلو من أهل باطلٍ يعادونه"(٣).

وقَالَ عَبدُ اللَّهِ رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم «يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ، فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»(٤).

(١) ينظر: إرشاد الساري (٢٤٨/٧).

(٢) رواه البخاري(٤).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ١١٧٤).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٩٢٩) ومسلم (١٧٩٤).

قال العيني رحمه الله: "وكان هذا من رفقه وصبره على أذى الكفار، والأنبياء عليهم السلام كانوا مأمورين بالصَّبر؛ قال الله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة : الأحقاف] "(١).

وفي الصَّحيح، ذكرٌ لإيذاءِ قوم موسى عليه الصلاة والسلام، روى عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه سلم قَسْمًا، فَقَالَ: رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجهُ اللَّهِ، فَأَتَيتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخبَرتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيتُ الغَضَبَ فِي وَجهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرحَمُ اللَّهَ مُوسى قَد أُوذِيَ بأَكثَرَ من هَذَا فَصَبَرَ»(٢).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا لَا يُرَى مِن جِلدِهِ شَيءٌ استِحيَاءً مِنهُ فَآذَاهُ مَن آذَاهُ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ...»(٣).

فوجود الأعداء للأنبياء سنّةٌ ماضية فيهم وفيمن اهتدى بهداهم من الأولياء والصَّالحين ؛ الآمرين بالمعروف والنَّاهين عن المنكر والدَّاعين إلى الله تعالى، والعلم بذلك مما يسلّي المؤمن ويصبّره فيما يناله من الأذى والظلم، ولا يثبت على الحقّ إلا المخلصون الصادقون.

---

(١) عمدة القاري (٣٤ / ٤١٥).

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري (٣٤٠٥) واللفظ له، و مسلم (١٠٦٤) بزيادة عليه.

(٣) صحيح البخاري (٣٤٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من استهزأ وسخر بالنَّبي صلى الله عليه وسلم فاللهُ ينتقم منه:

عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: «كانَ رجُلٌ نصرَانِيًّا فَأَسلَمَ وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمرَانَ فكَانَ يَكتُبُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَعَادَ نَصرَانِيًّا فكَانَ، يَقُولُ: مَا يَدرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ فَأَصبَحَ وَقَد لَفَظَتهُ الْأَرضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعلُ مُحَمَّدٍ وَأَصحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنهُمْ نَبَشُوا عَن صَاحِبِنَا فَأَلقَوهُ فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعمَقُوا فَأَصبَحَ وَقَد لَفَظَتهُ الأَرضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعلُ مُحَمَّدٍ وَأَصحَابِهِ نَبَشُوا عَن صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنهُم فَأَلقَوهُ فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعمَقُوا لَهُ فِي الأَرضِ مَا استَطَاعُوا فَأَصبَحَ وَقَد لَفَظَتهُ الأَرضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيسَ مِنَ النَّاسِ فَأَلقَوهُ»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" كفى الله محمدًا صلى الله عليه وسلم من عاداه وانتقم منهم ولم تنفعهم أنسابهم ولا فضل مدينتهم فإن الله إنما يثبت بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة: النحل] وقد سمَّى أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزئين وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرِّياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به(٢)." وساق أحاديث المستهزئين وفيها هذا الذي لفظته الأرض.

وصدق الله القائل في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة: الحجر].

(١) متفق عليه، رواه البخاري —واللفظ له-(٣٦١٧) و مسلم (٢٧٨٤).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦ / ٢٧٥).

والجمهور على أنها نزلت في خمسةِ نفرٍ كانوا يبالغون في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فأهلكهم الله[١].

نصرة الله لأنبيائه عليهم الصَّلاة والسَّلام:

عن ابن عَبَّاسٍ، أَنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ»[٢].

قَالَ الشَّيخُ أبو نُعيْم رَحمَةُ اللَّهِ عَلَيهِ: وَفِي إِرسَالِ اللَّهِ الرِّيحَ عَلَيهِمُ المسقِطَةَ لِفَسَاطِيطِهِم وَخِيَمِهِم فَعَجَزُوا عَن إِمسَاكِ خِيَمِهِم وَخُيُولِهِم، فَصَرَفَهُمُ اللَّهُ عز وجل مُغْتَاظِينَ مَوتُورِينَ مُنهَزِمِينَ، فَكَانَتِ الرِّيحُ عَذَابًا عَلَيهِم وَنُصرَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: نُصِرتُ بِالصَّبَا وَأُهلِكَت عَادٌ بِالدَّبُورِ[٣].

وبإسناد الشافعي رحمه الله:« وَكَانَت عَذَابًا عَلَى مَن كانَ قَبلِي»[٤]. من الأمم كعادٍ وغيرهم[٥].

ونصرةُ الله لأنبيائهِ ثابتةٌ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة غافر].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ١٤٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١٠٣٥) ومسلم (٩٠١).

(٣) دلائل النبوة (٥٠٢/١).

(٤) مسند الشافعي (٣٧٥) قال: أخبَرَنَا مَن لا أَتَّهِمُ، أخبَرَنَا عَبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيْدٍ، عَن مُحَمَّدِ بنِ عَمرٍو، مرفوعًا. وفي إسناده جهالة و إبهام.

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٨٩٠).

إجابةُ دعاءِ الأنبياء:

عن عَبدَ اللَّهِ بنَ مسعُودٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي عِندَ البَيتِ وَأَبُو جَهلٍ وَأَصحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إذ قَالَ بَعضُهُم لِبَعض، أَيُّكُم يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهرِ مُحَمَّدٍ، إِذَا سَجَدَ فَانبَعَثَ أَشقَى القَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَضَعَهُ عَلَى ظَهرِهِ بَينَ كَتِفَيهِ وَأَنَا أَنظُرُ لَا أُغَيِّرُ شَيئًا لَو كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَن ظَهرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيهِم إذ دَعَا عَلَيهِم، قَالَ: وَكَانُوا يَرَونَ أَنَّ الدَّعوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُستَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَبِي جَهلٍ، وَعَلَيكَ بِعُتبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَشَيبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بنِ أَبِي مُعَيطٍ، وَعَدَّ السَّابِعَ، فَلَم يَحفَظ، قَالَ: فَوَ الَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَقَد رَأَيتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَرعَى فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدرٍ»(١).

قال ابن عبد البر رحمه الله: "دعاؤه كلُّه أو أكثره مجاب إن شاء الله ألا ترى أنه قد أجيبت دعوته في أن لا يهلك أمته بالسنين ولا يسلِّط عليهم عدوًا من غيرهم يستأصلهم فكيف يجوز أن يظن أحدٌ أنه لم تكن له إلا دعوة واحدة يستجاب له فيها أو لغيره من الأنبياء ؟! هذا ما لا يتوهَّمه ذو لبٍّ"(٢).

ونقل الزرقاني رحمه الله عن بعض الشراح:" جميع دعوات الأنبياء

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٥).

(٢) التمهيد (١٩/ ١٩٧).

مجابة"(١). ومصداقه ما جاء في القرآن الكريم من إجابةٍ لأنبياء الله عليهم الصلاة وأتم التسليم.

وذكر ابن رجب رحمه الله من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم: "إجابة دعوته ، وتعجيل عقوبة من أذاه ، وأن العقوبة من جنس الذنب"(٢).

وإجابة دعائه صلى الله عليه وسلم من كرامته على ربه تبارك وتعالى، وعظم قدره عند مولاه، وقد أجاب الله تعالى مسألته في أعظم المواقف شدّةً و كربةً كما في حديث الشفاعة الكبرى؛ وفيه: «يَا مُحَمَّدُ ارفَعْ رَأْسَكَ، وَقُل يُسْمَعْ لَكَ، وَسَل تُعطَ، وَاشْفَع تُشَفَّع»(٣).

تحقُّق رؤيا الأنبياء:

عَن عَائِشَةَ أُمِّ المؤمِنِينَ، أَنَّهَا، قَالَت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الوَحيِ الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّومِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤيَا إِلَّا جَاءَت مِثلَ فَلَقِ الصُّبحِ»(٤).

قال ابن عبد البرّ رحمه الله: "ولذلك كانت رؤيا الأنبياء وحيًا" وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما{:"رؤيا الأنبياء وحيٌ"(٥).

(١) شرح الزرقاني (٢ / ٤٥).

(٢) فتح الباري (٢ / ٧٣٢).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٦).

(٤) متفق عليه ، رواه البخاري (٤) و مسلم (١٦٢).

(٥) الاستذكار (١ / ٥٦).

تنام أعينُهم ولا تنام قلوبهم:

عَن شَرِيكِ بنِ عَبدِ اللَّهِ بنِ أَبِي نَمِرٍ سَمِعتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا، عَن لَيلَةِ أُسرِيَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِن مَسْجِدِ الكَعبَةِ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبلَ أَن يُوحَى إِلَيهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسجِدِ الحرَامِ، فَقَالَ: «أَوَّلُهُم أَيُّهُم هُوَ، فَقَالَ: أَوْسَطُهُم هُوَ خَيرُهُم، وَقَالَ: آخِرُهُم خُذُوا خَيْرَهُم فَكَانَت تِلكَ فَلَم يَرَهُم حَتَّى جَاءُوا لَيلَةً أُخرَى، فِيمَا يَرَى قَلبُهُ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَائِمَةٌ عَينَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُم، فَتَوَلَّاهُ جِبرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ»(١).

" الأنبياء صلوات الله عليهم وسائط بين الله تعالى وعباده يبلغونهم عن الله عز وجل أوامره ونواهيه فظواهرهم موافقة لأوصاف البشر ، وبواطنهم محمولة بأوصاف الحقِّ عن أوصاف البشرية، إذ لو كانت ظواهرهم بخلاف أوصاف البشرية لم يطق الناس مقاومتهم والقبول عنهم، فالبشر لا يطيق مقاومة الملك فكيف يطيق أوصاف الحقِّ وتجلِّيه، وكيف يطيقون كلامه، فلو كانت أسرار الأنبياء صلوات الله عليهم كظواهرهم لتلاشت وانحلَّت من قواها عند تجلِّي أوصاف الحقّ لها، ولو كانت ظواهرهم كبواطنهم لم يقاوم البشر أوصافها ولم يطق القبول عنها، فجعل الله تعالى ظواهرهم بشرية جنسية ليطيق البشر القبول عنهم لمشاكلة الجنس، وبواطنهم خفية وملكية عرشية علوية يطيق حمل ما يرد عليها ويكاشف لها"(٢).

(١) رواه البخاري (٣٥٧٠) .

(٢) نقلته باختصار من بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي (ص: ٢٩٩-٣٠٠).

والمقصود من ذلك أنهم في نطاق البشرية لا يخرجون عنه؛ ولكن منحوا قوىً نفسيةً وجسديةً خاصّة جعلتهم يطيقون مالا يطيقه عامَّة الناس، أعظمها القدرة على الاتصال بالملائكة عليهم السلام، ومنها لنبينا صلى الله عليه وسلم القدرة على مواصلة الصِّيام كما في الحديث الصحيح: عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَت: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُم"، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»(١).

لا يموت النبيُّ حتى يُخيّر:

عَن عَائِشَةَ، قَالَت: «كُنتُ أَسمَعُ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَينَ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، فَسَمِعتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُول فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَأَخَذَتهُ بُحَّةٌ، يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الآيَةَ، فَظَنَنتُ أَنَّهُ خُيِّرَ»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: "هذه الحالة من خصائص الأنبياء أنه لا يقبض نبيٌّ حتى يخيَّر بين البقاء في الدُّنيا وبين الموت"[٣].

وفي قصة نبيّ الله موسى عليه الصلاة والسلام مع ملك الموت ما يدلّ على ذلك[٤].

---

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (١٩٦٤) و مسلم (١١٠٦).

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري (٤٤٣٥) و مسلم (٢٤٤٦).

(٣) فتح الباري (١٠/١٣١).

(٤) رواها البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ =

المطلب الثاني: سننُ الله في الأوَّلين والآخرين

انتقاص الخلقِ منذ عهد آدم صلى الله عليه وسلم حتى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

عن أبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذهَبْ فَسَلِّم عَلَى أُولَئِكَ مِنَ المَلَائِكَةِ فَاستَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُم، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيكَ وَرَحمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحمَةُ اللَّهِ فَكُلُّ مَن يَدخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فَلَم يَزَلِ الخَلقُ يَنقُصُ حَتَّى الآنَ»[١].

الحديث دليلٌ على تناقصِ الخلقِ في القامات قرنًا بعد قرنٍ حتى استقرّ على ما عليه النّاس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهذا ما ذكره ابن التّين والعيني واستشكله ابن حجر رحمه الله بقوله:" ويُشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السّالفة كديارِ ثمود؛ فإن مساكنهم تدلُّ على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطّول على حسب ما يقتضيه التّرتيب السّابق، ولا شكَّ أن عهدهم قديم وأن الزّمان الذي بينهم وبين آدم دون الزّمانِ الذي بينهم وبين أوَّل هذه الأمة ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الاشكال"[٢].

= مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟، قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِن الْأَرْضِ المقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : فَلَو كُنْتُ، ثَمَّ لَأَرَيْتُكُم قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ».

(١) متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤٤).

(٢) فتح الباري (٦ / ٣٦٧)، عون الباري (٧/٩٩).

وربما يزيل الإشكال أنَّ النَّقص المقصود به ما كان في الأعمار؛ فأعمارُ أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما بين الستين والسبعين كما في حديث أَبِي هُرَيرَة، قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَينَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبعِينَ، وَأَقَلُّهُم مَن يَجُوزُ ذَلِكَ»(١).

وقد أخبر الله عن نوحٍ عليه السلام أنه مكثَ في قومه يدعوهم إلى عبادة الله جل وعزَّ ، عمرًا طويلًا ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]، عن مجاهدٍ قال: قال لي ابن عمر رضي الله عنهما ؛كم لبث نوحٌ في قومه ؟ قال: قلتُ: "الف سنةٍ إلا خمسين عامًا قال: فإن النَّاس لم يزالوا في نقصان أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا"(٢).

شَبَهُ الولد إلى أبيه أو أخواله.

عَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: بَلَغَ عَبدَ اللَّهِ بنَ سَلَامٍ مَقدَمُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، وفيه : مِنْ أَيِّ شَيءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِن أَيِّ شَيءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ قَالَ فَقَالَ عَبْدُ

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣٥٥٠) قال: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بنُ عَرَفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحمَنِ بنُ مُحَمَّدٍ المَحَارِبِيُّ، عَن مُحَمَّدِ بنِ عَمْرٍو، عَن أَبِي سَلَمَة، عنه .الحديث. ورواه ابن ماجه (٤٢٣٦) وابن حبان (٢٩٨٠) والحاكم (٣٥٢٨) جميعهم من طريق الحسن بن عرفة به بلفظه .وقال الحاكم : هذا حَدِيثٌ صحيحٌ على شرطِ مُسلمٍ ولم يُخرِجاهُ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٤١/٩).

اللَّـهِ ذَاكَ عَـدُوُّ الْيَـهُودِ مِـنَ الْمَلَائِكَـةِ،..» وذكـر الحـديث وفيـه قـال رَسُـولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم: « الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ المرأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ،.. »(١) الحديث.

الحديثُ إخبارٌ عن الغيبِ الذي لا يعلمهُ إلا من يُوحى إليه من الله سبحانه وتعالى، ولذلك أقرَّ السائل بأنه نبيٌّ، والمعنى كما قال ابن حجر رحمه الله :"السَّبقُ علامةُ التَّذكير والتأنيث، والعلوّ علامة الشَّبه"(٢).

وهذا من أسرار الإعجاز العلميّ المتعلّق بخلق الإنسان ، في السُّنة النَّبوية(٣).

مسُّ الشيطانِ المولودَ حين يولد:

عن أَبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِن بَنِي آدَمَ مَولُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَستَهِلُّ صَارِخًا مِن مَسِّ الشَّيطَانِ غَيْرَ مَرِيَمَ وَابنِهَا» ثُمَّ، يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾.[سورة آل عمران](٤).

(١) رواه البخاري (٣٣٢٩).

(٢) فتح الباري (٧ /٢٧٣).

(٣) يراجع كتاب: موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي ، د. أحمد شوقي إبراهيم وغيره.

(٤) صحيح البخاري (٣٤٣١).

الخلف للمنفق والتَّلف للممسك:

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ما من يَومٍ يُصبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعطِ مُمسِكًا تَلَفًا»[1].

قال العلماء : هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضِّيفان والصَّدقات ونحو ذلك بحيث لا يذمّ ولا يسمَّى سرفًا والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا[2].

من توكَّل على الله كفاه:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا من بَنِي إِسرَائِيلَ، سَأَلَ بعضَ بنِي إِسرَائِيلَ أَن يُسَلِّفَهُ أَلفَ دِينَارٍ، قَالَ: ائتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، قَالَ: ائْتِنِي بِكَفِيلٍ، قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. فَخَرَجَ فِي البَحرِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَبًا يَقدَمُ عَلَيهِ لِلأَجَلِ الَّذِي كَانَ أَجَّلَهُ، فَلَم يَجِدْ مَركَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا، وَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مَعَهَا إِلَى صَاحِبِهَا، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا البَحْرَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَد عَلِمْتَ أَنِّي استَلَفتُ مِن فُلَانٍ أَلفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي كَفِيلًا، فَقُلتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ، وَإِنِّي قَد جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَركَبًا أَبعَثُ إِلَيهِ بِالَّذِي أَعطاني، فَلَم أَجِد مَركَبًا، وَإِنِّي استَودَعتُكَها، فَرَمَى

---

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٢).

(٢) شرح النووي (٧ / ٩٥).

بِهَا فِي البَحرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انصَرَفَ، يَنظُرُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطلُبُ مَركَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا يَجِيءُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المال، فَأَخَذَهَا لِأَهلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ المالَ وَالصَّحِيفَةَ...» الحديث، وفي آخره: قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنكَ الَّذِي بَعَثتَ بِهِ فِي الخَشَبَةِ، فَانصَرِفْ بِأَلفِكَ رَاشِدًا»[1].

قال ابن بطال رحمه الله:" فيه أن الله تعالى متكفِّلٌ بعونِ من أراد الأمانة ومُعينه على ذلك، وأن الله يجازي على الإرفاق بالمال بحفظه عليهم مع الأجر المدَّخر لهم في الآخرة، كما حفظه على المسلف حين ردَّه الله إليه، وهذان فضلان كبيران لأهل المواساة والثّقة بالله والحرص على أداء الأمانة"[2].

وزاد العيني رحمه الله: "وفيه أن من توكَّل على الله فإنه ينصره فالذي نقر الخشبة وتوكَّل حفظ الله تعالى ماله والذي أسلفه وقنع بالله كفيلاً أوصل الله تعالى ماله إليه"[3].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا (٢٤٣٠) وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ رَبِيعَةَ، عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ هُرْمُزَ، عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .الحديث مختصرًا.

قال ابن حجر: " هكذا في عامَّة الأصول، ووقع في رواية المستملي وغيره، وفي الأصل المقروء على أبي الوقت، عقب هذا: حدثني عبد الله بن صالح، حدثني الليث بهذا." تغليق التعليق(٣/٢١٢).

ورواه أحمد عن الليث مسندًا (٨٣٨١) قال: حَدَّثَنَا يُونُسُ بن مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ يعني ابن سَعدٍ، عن جعفرٍ به، واللفظ له.

(٢) شرح ابن بطال (٣/٥٥١).

(٣) عمدة القاري (١٤/١١٨).

والتوكّل على الله داخلٌ في توحيده الذي جاءت به الرسل والرسالات جميعًا منذ بعثت، فالأمم كلها مطالبة به لتحقيق إيمانها بالله تعالى.

تفريج الكُرَب وعمل الحسنات سببٌ لمغفرة الذَّنب والسَّيئات:

عن حُذَيفَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «تَلَقَّتِ الملَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّن كَانَ قَبلَكُم، قَالُوا: أَعَمِلتَ مِنَ الخَيرِ شَيئًا ؟ قَالَ: كُنتُ آمُرُ فِتيَانِي أَن يُنظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عن الموسِرِ قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنهُ»(١).

قال المهلب رحمه الله:" فيه أنَّ الله يغفر الذنوب بأقلِّ حسنةٍ توجد للعبد، وذلك – والله أعلم– إذا خلصت النِّيَّة فيها لله تعالى، وأن يريد بها وجهه، وابتغاء مرضاته، فهو أكرم الأكرمين"(٢).

وفي السنة النبوية أدلةٌ أخرى على حصول المغفرة بعمل الحسنة المتقبّلة ولو قلّت سواءً كان من هذه الأمَّة أو ما سبقها من الأمم، وفضل الله واسع ورحمته سبقت غضبه سبحانه وبحمده.

الدعاء بصالح الأعمال سببٌ للنجاة من الأهوال:

عن عَبدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «انطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهطٍ مِمَّن كَانَ قَبلَكُم، حَتَّى أَوَوا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانحَدَرَتْ صَخرَةٌ مِنَ الجبَلِ فَسَدَّت عَلَيهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنجِيكُم مِن هَذِهِ الصَّخرَةِ إِلَّا أَن تَدعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعمَالِكُم » وفي آخره –

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (٢٠٧٧) و مسلم (١٥٦٠).

(٢) شرح ابن بطال (٦/ ٢١٢).

بعدما دعوا بصالح أعمالهم: « فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[١].

قال ابن حجر رحمه الله:"وفي هذا الحديث استحبابُ الدعاء في الكُرَب والتقرّب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل واستنجاز وعده بسؤاله"[٢].

الاختلاف سببٌ للهلاك :

عَن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: سَمِعتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقرَأُ خِلَافَهَا فَجِئتُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخبَرتُهُ فَعَرَفتُ فِي وَجهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَن كَانَ قَبلَكُمُ اختَلَفُوا فَهَلَكُوا»[٣].

أي لا تختلفوا اختلافاً يؤدي إلى الكفر أو البدعة كالاختلاف في نفس القرآن، وفيما جازت قراءته بوجهين وفيما يوقع في الفتنة أو الشبهة. «فإن من كان قبلكم» أي من بني إسرائيل «اختلفوا» بتكذيب بعضهم بعضاً «فهلكوا» أي باختلافهم وفي رواية «فأُهلكوا» بضم أوله وفي أخرى «فأهلكهم» أي الله بسبب الاختلاف[٤].

وقد أوصى الله سبحانه وتعالى المؤمنين بترك التنازع فقال جلّ جلاله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[سورة: الأنفال، من الآية :٤٦].

---

(١) متفق عليه، و اللفظ للبخاري (٢٢٧٢) ، مسلم (٢٧٤٤).

(٢) فتح الباري (٦ / ٥٠٩).

(٣) رواه البخاري (٣٤٧٦).

(٤) مرعاة المفاتيح (٧ / ٣٠٧).

اتباع سَنَن القُرون الماضية:

عنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُم شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعتُمُوهُم، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ، وَالنَّصَارَى، قَالَ: فَمَنْ ؟»(١).

أخبر النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّ أمَّته قبل قيام السَّاعة يتبعون طريقة من كان قبلهم؛ يعني في كلِّ شيءٍ مما نهى الشَّرع عنه وذمَّه من محدثات الأمور، والبدع والأهواء المضلّة، كما اتبعتها الأمم من فارس والرُّوم حتى يتغيّر الدِّين عند كثيرٍ من النَّاس، وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم في كثيرٍ من حديثه أن الآخِرَ شرٌّ، وأن السَّاعة لا تقوم إلا على شِرار الخلق، وأن الدِّين إنما يبقى قائمًا عند خاصَّةٍ من المسلمين لا يخافون العداوات، ويحتسبون أنفسهم على الله في القول بالحقّ، والقيام بالمنهج القويم في دين الله تعالى(٢).

لا يرتفعُ شيءٌ من الدُّنيا إلا وَضَعهُ الله تعالى:

عَن أَنَسٍ، قَالَ: كَانَت نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تُسَمَّى العَضبَاءَ، وَكَانَت لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشتَدَّ ذَلِكَ عَلَى المسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ العَضبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَن لَا يَرفَعَ شَيئًا مِنَ الدُّنيَا إِلَّا وَضَعَهُ»(٣).

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٧١).

(٢) شرح ابن بطال (١٠/٣٦٦)، وعمدة القاري (٢٥/٥٢).

(٣) رواه البخاري (٦٥٠١).

فيه بيان مكان الدنيا عند الله من الهوان والضّعة، ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن حقًا على الله ألا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه» فنبّه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أمته على ترك المباهاة والفخر بمتاع الدُّنيا، وأن ما كان عند الله في منزلة الضّعة، فحقٌّ على كل ذي عقلٍ الزّهد فيه وقلّة المنافسة في طلبه، وترك الترفّع والغبطة بنيله، لأن المتاع به قليل والحساب عليه طويل(١).

وفي التاريخ برهان ومعتبر؛ فكم من أممٍ سادت ثم بادت وحضارات علت ثم امّحت وهلمّ جرّا...!

وأما ما يختصّ بدين الله تعالى ويخلص له فلا يدخل في هذا.

من سنَّ سنةً حسنةً أو سيئةً فله أجرها أو وزرها:

عَن عَبدِ اللَّهِ رضى الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تُقتَلُ نفسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَن سَنَّ القَتلَ»(٢).

هذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو أنَّ كل من ابتدع شيئاً من الشرِّ كان عليه مثل وزر كلِّ من اقتدى به في ذلك العمل مثل عمله إلى يوم القيامة، ومثله من ابتدع شيئاً من الخير كان له مثل أجر كل من يعمل به إلى يوم القيامة(٣).

---

(١) شرح ابن بطال (١٠ / ٢١٢).

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري (٣٣٣٦) ومسلم (١٦٨٠).

(٣) شرح النووي (١١/ ١٦٦).

مؤاخذة الضَّعيف وترك الشَّريف سببٌ للهلاك :

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُم شَأْنُ المَرأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: وَمَنْ يَجترِئُ عَلَيهِ إِلَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ، قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُم أَنَّهُم كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَو أَنَّ فَاطِمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعتُ يَدَهَا»(١).

ابتلاءُ المؤمنينَ بالشِّدّة :

عَن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعبَةِ، قُلنَا: لَهُ أَلَا تَستَنصِرُ لَنَا أَلَا تَدعُو اللَّهَ لَنَا، قَالَ: « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبلَكُم يُحفَرُ لَهُ فِي الأَرضِ فَيُجعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالمِنشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأسِهِ فَيُشَقُّ بِاثنَتَينِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ»(٢).وحاصل المعنى؛ لا تستعجلوا فإن من كان قبلكم قاسوا ما ذكرنا فصبروا وأخبرهم الشَّارع بذلك ليقوى صبرهم على الأذى(٣).

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٤٧٥) ومسلم (١٦٩٠).

(٢) رواه البخاري (٣٦١٢).

(٣) عمدة القاري (٢٤ / ١٧٣).

ابتلاءُ النَّاس بالنِّعمة:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عز وجل أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا...»[1] الحديث في قوله: «فإنما ابتليتم» أي: امتحنتم؛ عاملكم الله العالم بجميع الأمور معاملة المبتلى المختبر ليترتب على عملكم أثره؛ إذ الجزاء إنما جعله الله مرتباً على ما يبدو في عالم الشهادة لا على ما سبق في علمه[2].

وكان هذا الابتلاء سببًا لإظهار ما في قلوبهم من الإيمان ونقيضه بحسب صدقهم مع الله والاعتراف له بالفضل وحده دون سواه .

قال ابن حجر رحمه الله:" جواز ذكر ما اتّفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم"[3].

الإملاء للظّالم:

عَن أَبِي مُوسَى رضي اللَّهُ عنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لم يُفلِتْهُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ :﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (٣٤٦٤) و مسلم (٢٩٦٦).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١/ ٢٤٦).

(٣) فتح الباري (٦/ ٥٠٣).

إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة هود]»[1].

الإملاء؛ الإمهَالُ والتأخيرُ وإطالةَ العُمرِ[2].

وفي الإملاء تمحيصٌ للمؤمنين وتمييز الصادقين من المنافقين والكاذبين، وزيادة تنكيل بالظالمين لما أُدِّخر لهم من العذاب الشديد.

نزول العذاب بترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

عن النُّعمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعضُهُم أَعْلَاهَا وَبَعضُهُم أَسفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسفَلِهَا إِذَا استَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَن فَوقَهُم، فَقَالُوا: لَو أَنَّا خَرَقنَا فِي نَصِيبِنَا خَرقًا وَلَم نُؤْذِ مَن فَوْقَنَا، فَإِن يَترُكُوهُم وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيدِيهِم نَجَوا وَنَجَوا جَمِيعًا»[3].

فإذا أقيمت الحدود وأُمر بالمعروف ونهي عن المنكر حصلت النجاة للكل؛ وإلا هلك العاصي بالمعصية وغيرهم بترك الإقامة[4].

والحديث عامٌ لكلِّ قائمٍ و واقعٍ على حدود الله تعالى، من هذه الأمة وغيرها؛ ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب المثل ببني إسرائيل كما في الحديث الذي رواه ابن مسعودٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ

(١) متفق عليه ، رواه البخاري (٤٦٨٦) و مسلم (٢٥٨٤).

(٢) النهاية في غريب الأثر (٤/ ٧٩٢).

(٣) صحيح البخاري (٢٤٩٣).

(٤) عمدة القاري (١٩ / ٤٠٤).

أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِم بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾ [سورة المائدة] ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأمُرُنَّ بِالْمَعرُوفِ وَلَتنهَوُنَّ عَنِ المُنكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْرًا »، ومن طريق سَالِمٍ، عَن أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنِ ابنِ مَسعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِنَحوِهِ زَادَ: «أَو لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعضِكُم عَلَى بَعضٍ ثُمَّ لَيَلعَنَنَّكُم كَمَا لَعَنَهُم»(١).

وهذا استحقاقُ العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتعذيب العامة بذنوب الخاصة.

وأجمعت الأمة على أن ذلك–أي: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر– فرضٌ على الأئمة والأمراء أن يقوموا به ويأخذوا على أيدى الظالمين وينصفوا المظلومين ويحفظوا أمور الشريعة حتى لا تغيّر ولا تبدّل (٢).

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٣٣٦) قال: حَدَّثَنَا عَبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ بَذِيمَةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، مرفوعًا . ورجاله ثقات. ورواه أحمد (٣٧٠٥) والترمذي (٣٠٤٧) وابن ماجه (٤٠٠٦) جميعهم من طريق عَلِيِّ بنِ بَذِيمَةَ به، وقال الترمذيّ : حسنٌ غريب.

(٢) شرح ابن بطال (٩/ ٢٩٤) .

والأحاديث الواردة في عقوبةِ ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كثيرة، وجاءت أحاديث أخرى في التحذير من فشوّ بعض المنكرات واعتياد الناس أمرها، وما يترتب عليها من العذاب؛ كما روى البيهقي–بسندٍ صحيح– عن عَبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «يَا مَعشَرَ المُهَاجِرِينَ، خَمسٌ إِذَا ابتُلِيتُم بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَم تَظهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَومٍ قَطُّ، حَتَّى يُعلِنُوا، بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوجَاعُ، الَّتِي لَم تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنقُصُوا المِكيَالَ وَالمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَورِ السُّلطَانِ عَلَيهِم، وَلَم يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِم إِلَّا مُنِعُوا القَطرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَولَا البَهَائِمُ لَم يُمطَرُوا وَلَم يَنْقُضُوا عَهدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِن غَيْرِهِم، فَأَخَذُوا بَعضَ مَا فِي أَيدِيهِم وَمَا لَم تَحْكُم أَئِمَّتُهُم بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأسَهُم بَينَهُم»(١).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) قال: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بنُ خَالِدٍ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو أَيُّوبَ، عَن ابنِ أَبِي مَالِكٍ، عَن أَبِيهِ، عَن عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، مرفوعًا . ورجاله ثقات.

ورواه البزّار في مسنده (١٧٥١) قال: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضلِ، أخبرنا مُحَمَّدُ بنُ عُثْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنِي الهَيْثَمُ بنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنِي حَفْصُ بنُ غَيلانَ، عَن عَطَاءِ بنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: «كُنَّا مَعَ ابنِ عُمَر .. » الحديث، بسياقٍ طويل، ورواه الحاكم في مستدركه (٨٧٢٧) من طريق الهَيْثَم بن حُمَيْدٍ به بمثله عند البزّار. وقال: صحيح الإسناد .

العدلُ في الحِسَاب، والفضلُ لمن يشاء الله عز وجل:

عن سَالِمِ بن عبدِ اللَّهِ، عن أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُم فِيمَا سَلَفَ قَبلَكُم مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَينَ صَلَاةِ العَصرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمسِ، أُوتِيَ أَهلُ التَّورَاةِ التَّورَاةَ فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا انتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا فَأُعطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهلُ الإِنجِيلِ الإِنجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ العَصرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأُعطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا القُرآنَ فَعَمِلنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمسِ فَأُعْطِينَا قِيرَاطَينِ قِيرَاطَينِ، فَقَالَ أَهلُ الكِتَابَينِ: أَي رَبَّنَا أَعطَيتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَينِ قِيرَاطَينِ وَأَعطَيتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا وَنَحنُ كُنَّا أَكثَرَ عَمَلًا ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عز وجل: هَل ظَلَمتُكُم مِن أَجرِكُم مِن شَيءٍ ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضلِي أُوتِيهِ مَن أَشَاءُ»(١).

قال ابن المنير رحمه الله :"هذا الحديث مثالٌ لمنازل الأمم عند الله تعالى وأن هذه الأمّة أقصرها عمرًا وأقلُّها عملًا وأعظمها ثوابًا"(٢).

وأن الحساب قائمٌ على العدل التامّ والقسط بين الناس من أول الخليقة إلى آخرها؛ فلا يضيع عند الله جلّ وعلا مقدار الذرّة من عمل ابن آدم كما قال تعالى على لسان لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾[سورة: لقمان].

(١) رواه البخاري (٥٥٧).

(٢) عمدة القاري (٧ / ٤١٧).

ثبوتُ عذاب القبر في كلّ أمة :

عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، « أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَت عَلَيهَا فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبرِ، فَقَالَت لَهَا: أَعَاذَكِ اللَّهُ مِن عَذَابِ القَبرِ، فَسَأَلَت عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عن عَذَابِ القَبرِ، فَقَالَ: نَعَم، عَذَابُ القَبرِ، قَالَت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: فَمَا رَأَيتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِن عَذَابِ القَبرِ»(١)، زَادَ غُندَرٌ : عَذَابُ القَبرِ حَقٌّ.

"والأخبار في عذاب القبر صحيحةٌ متواترة لا يصحّ عليها التواطؤ، وإن لم يصحّ مثلها لم يصحّ شيء من أمر الدين".(٢)

قال ابن حجر رحمه الله :"فيه أن عذابَ القبر حقٌ وأنه ليس بخاصٍّ بهذه الأمة"(٣).

وقد أخبر الله تعالى عن عذاب آل فرعون بقوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة: غافر] والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ(٤).

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٢).

(٢) شرح ابن بطال (٣ /٣٦٣).

(٥٥) فتح الباري (٣/٢٣٦)، عمدة القاري (١٣/١٠٩).

(٥٦) تفسير القرطبي (١٥ / ٣١٨)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بسنته إلى يوم الدين وبعد:

فإن النَّظر في سنن الله الإلهية للأمم والأفراد يلفت انتباهنا إلى أهمية معرفة التاريخ وما فيه من الأخبار والأحوال وما جرى للأمم من الخير والعذاب، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة النمل] قال ابن عرفة رحمه الله:" السَّيرُ فِي الأَرضِ حِسِّيٌّ وَمَعنَوِيٌّ، وَالمعنَوِيُّ هُوَ النَّظَرُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ بِحَيثُ يَحصُلُ لِلنَّاظِرِ العِلمُ بِأَحوَالِ الأُمَمِ، وَمَا يَقرُبُ مِنَ العِلمِ، وَقَد يَحصُلُ بِهِ مِنَ العِلمِ مَا لَا يَحصُلُ بِالسَّيرِ فِي الأَرضِ لِعَجزِ الإِنسَانِ وَقُصُورِهِ".

وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالسَّيرِ فِي الأَرضِ دُونَ مُطَالَعَةِ الكُتُبِ لِأَنَّ فِي المخَاطَبِينَ مَن كَانُوا أُمِّيِّينَ، وَلِأَنَّ المشَاهِدَةَ تُفِيدُ مَن لَم يَقْرَأ عِلمًا وَتَقوىً؛ عِلمَ مَن قَرَأَ التَّارِيخَ أَو قصّ عَلَيهِ(١).

فإذا انظمّ للكتاب المنشور في التاريخ و الأرض الكتاب المكنون من الوحي الشريف ؛ أصبحت السُّنن الإلهية غايةً في البيان والحجة والقوّة ، فلم يبق إلا التدبّر والاعتبار والتعلّم منها واستحضار مشاهد الآخرة من خلالها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرّى العبرة بما ثبت من خبر بني إسرائيل ويعظ به أصحابه و أمته ، وكم فيها من التثبيت على الحقّ ، والصَّبرِ على الشدائد...!

(١) التحرير والتنوير (٤ / ٩٧).

ومعرفةِ قدرِ الله التشريعي في الأمم والأنبياء وأثره في تعظيم الله جلّ و علا حقّ قدره، ومحبته والأخذ بأسباب رضاه، والحذر من مساخطه ليكون للنَّفس الاطمئنان والسكينة والعزَّة، وللأمة النَّصر والاستخلاف والوحدة والتَّمكين.

وإن أبرز توصيات البحث التي أراها في غاية الأهمية؛ استكمال استقراء سنن الله تعالى في الأنبياء و الأمم و الأفراد، في كافة دواوين السنّة ومروياتها الصحيحة، لنخرج بموضوع متكامل يدرس هذه السُّنن الإلهية العظمى وما فيها من العبر والمواعظ.

ولاشك أن العناية بها يفسّر الواقع أصدق تفسير وأجلاه ويعين على الإعداد للمستقبل ببصيرة، ومعاملة الأعداء بحكمة و شجاعة.

وقد بدا لي استقراؤها واستحثاث النفس على جمع شتاتها وضمّ أطرافها وإخراجها في مدوّنة حديثية متكاملة .

والله أسأله بمنّه و كرمه أن يوفقني لذلك و ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويجعله حجةً لنا لا علينا.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

فهرس المصادر والمراجع

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لتقي الدين المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ .
- إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة – بيروت.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف : الإمام أبي العباس أحمد بن محمد القسلاني (ت٩٢٣هـ)، دار الكتب العلمية–بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .
- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ.
- إصلاح المنطق، لابن السِّكِّيت، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت (١٨٦–٢٤٤هـ)، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ، دار الجيل – بيروت .
- بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي البخاري، (٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية: بيروت.(الأولى:١٤٢٠هـ).

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، (١٩٨٤ هـ).
- تفسير ابن أبى حاتم، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق : أسعد محمد الطيب
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) ، الهيئة المصرية للكتاب(١٩٩٠ م).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكري، الناشر: مؤسسة قرطبة.
- التيسير بشرح الجامع الصغير، للإمام زين الدين عبد الرؤوف المناوي ،مكتبة الإمام الشافعي، الطبعة: الثالثة ١٤٠٨هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
- جامع الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي–بيروت.
- جامع الرسائل لأبي العباس أحمد بن تيمية المحقق: د. محمد رشاد ، دار العطاء – الرياض، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأبي العباس أحمد بن عبد

الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : د. علي حسن ناصر ، د. عبد العزيز إبراهيم العسكر ، د. حمدان محمد. دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.

- **دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.**
- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان الصديقي الشافعي (١٠٥٧هـ) اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان (الطبعة :الرابعة، ١٤٢٥ هـ).**
- **ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الناشر:الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – مصر (سنة النشر: ١٣٨٥هـ).**
- **رسائل ابن حزم الأندلسي، لأبي محمّد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق : إحسان عباس**
- **الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٢ هـ –١٩٩٢،الطبعة : الأولى.**
- **سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر–بيروت (الطبعة الأولى).**
- **السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القران الكريم د. مجدي عاشور ، دار السلام ، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.**
- **السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية د. عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة .**

- شرح البخاري، لابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، ضبط نصه وعلّق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد–الرياض، (ط الأولى–٢٠٠٠م).
- شرح الزرقاني، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ـ دار الكتب العلمية: بيروت، سنة النشر: ١٤١١هـ.
- شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المحقق: الحساني حسن عبد الله، الناشر: دار التراث – القاهرة.
- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الرابعة (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م).
- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار: ابن كثير، اليمامة–بيروت.
- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني(٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- عون الباري بحلّ أدلّة البخاري، لمحمد صديق حسن القنّوجي البخاري

(١٣٠٨هـ)، تحقيق: نور الدين طالب ولجنة مختصة من المحققين، دار النوادر– الطبعة الثانية– ١٤٢٩هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق : علي حسين البواب
- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى .
- مجموعة الرسائل والمسائل ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني ، تعليق محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربي .
- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدهـ (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت (٢٠٠٠م).
- المحيط في اللغة ، للصاحب إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥) تحقيق : محمد آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد (الطبعة الأولى).
- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري (١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – الهند، الطبعة : الثالثة – ١٤٠٤ هـ .
- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥)، دار الكتب العلمية: بيروت (ط: الأولى).

- مسند الشافعي، لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي (٢٠٤)، دار الكتب العلمية: بيروت، الطبعة الأولى.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربي.
- المكتبة العصرية – صيدا.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢م.
- الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت (الطبعة الأولى–١٩٨١م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت ، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

فهرس الموضوعات